



تعلوب حكيمًا

بقلم : عبد الحميد عبد المقصود
بريشة : عبد الشافي سيد



الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
توزيع والفن والتوزيع
5481199 - RAPHAEL 04.3000
القصر الجديد

قَرَّرَ تَعْلُوبٌ أَنْ يَسْتَغْلِلَ كُلَّ خَيْرَاتِهِ وَمَهَارَاتِهِ الَّتِي تَعَلَّمَهَا
مِنَ الْحَيَاةِ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ أَهْلِ قَرْيَتِهِ ، وَشَاعَ عَنْهُ ذَلِكَ ،
فَأَصْبَحَ النَّاسُ يَتَوَاقِدُونَ عَلَى مَنَزَلِهِ ، لِيَحِلَّ لَهُمْ مَشَاكِلَهُمْ ،
وَيَقْضِيَ فِي الذَّرَاعَاتِ وَالْخِلَافَاتِ الْقَائِمَةَ بَيْنَهُمْ ..
وَقَدْ ذَاعَتْ شُهْرَةُ تَعْلُوبٍ بِسَبَبِ ذَلِكَ فِي قَرْيَتِهِ ، وَفِي
الْقُرَى الْمُحِيطَةِ بِهَا ، بَرغم أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَادِلًا فِي حُكْمِهِ ،
وَلَا مُصِيبًا فِي حِكْمَتِهِ دَائِمًا ..



كَانَ فِي اسْتِطَاعَةٍ تَعْلُوبٍ أَنْ يُبْرِيَ الْمُذْنِبَ ، وَيَحْكُمَ
ضِدَّ الْبَرِّىءِ ، وَيَقْلِبَ الْحَقَّ بَاطِلًا ، وَيُزَيِّفَ الْحَقِيقَةَ ،
طَالَمَا أَنَّ الْجَانِيَ يَدْفَعُ لَهُ ..
وَقَدْ ضَاقَ النَّاسُ بِذَلِكَ ضَيْقًا شَدِيدًا ، وَشَكَّوْا الْأَمْرَ
إِلَى أَرْثُوبٍ ، فَفَرَّرَ التَّعَرُّفَ عَلَى طَرِيقَتِهِ ، حَتَّى يُلْقَنَ
تَعْلُوبًا دَرَسًا وَعِظَةً ..



وَذَاتَ يَوْمٍ ارْتَدَى ارْتُوبٌ ثَوْبًا فَخْمًا جَدًّا ، بَلْ هُوَ
أَفْخَمُ ثَوْبٍ رَأَاهُ شَخْصٌ فِي الْقَرْيَةِ ، وَرَكِبَ جَوَادَهُ
مَتَوَجِّهًا إِلَى مَنْزِلِ تَعْلُوبٍ ..

وَهُنَاكَ تَرَجَّلَ عَنْ جَوَادِهِ ، وَطَرَقَ بَابَ الْمَنْزِلِ ، فَفَتَحَ
لَهُ تَعْلُوبُ الْبَابَ بِنَفْسِهِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَى ثَوْبَهُ الْحَرِيرِيَّ
الْمُطَرَّزَ بِخَيْوُطِ الذَّهَبِ لَمْ يَتَعَرَّفْهُ ، وَظَنَّهُ أَحَدَ الْأَثْرِيَاءِ ،
فَرَحَّبَ بِهِ ، وَأَدْخَلَهُ إِلَى الْحِجْرَةِ الَّتِي يَسْتَقْبِلُ
فِيهَا ضَيْوْفَهُ ..



وفى الدّاخل صَارَحَهُ أَرْنُوبٌ بِالْحَقِيقَةِ ، مُعْرِفًا إِيَّاهُ
بِنَفْسِهِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ تَعْلُوبٌ بِاحْتِقَارٍ قَائِلًا :
- مِنْ أَيْنَ سَرَقْتَ هَذَا الثُّوبَ الْفَخْمَ أَيُّهَا الْمُحْتَالُ ؟
هَذَا الثُّوبُ لَا يَلِيْقُ بِشَخْصٍ ثَافِهٍ مِثْلِكَ ، وَإِنَّمَا يَلِيْقُ
بِشَخْصٍ ثَافِهٍ حَكِيمٍ مِثْلِي ..
وَدُونَ أَنْ يَنْطِقَ أَرْنُوبٌ بِحَرْفٍ وَاحِدٍ نَزَعَ الثُّوبَ عَنْ
نَفْسِهِ وَوَضَعَهُ عَلَى كَتِفَيَّ تَعْلُوبٍ ..



فَرِحَ تَعْلُوبُ بِالنُّوبِ ، وَرَاحَ يَرْتَدِيهِ عَلَى عَجَلٍ ، ثُمَّ أَخَذَ
يَدُورُ فِي الْمَكَانِ مُخْتَالاً بِهِ ، وَهُوَ يَتَأَمَّلُ نَفْسَهُ فِي الْمِرْآةِ ،
تَارَةً مِنْ هَذَا الْجَانِبِ ، وَتَارَةً مِنْ ذَاكِ الْجَانِبِ ..
وَبَعْدَ أَنْ انْتَهَى مِنْ ذَلِكَ جَلَسَ مُخْتَالاً ، وَقَالَ لَارْتُوبِ :
- يَا لَهُ مِنْ نُوبٍ رَائِعٍ .. لَكُمْ اسْعِدْتَنِي يَا عَزِيزِي ارْتُوبَا بِهِذِهِ
الْهَدِيَّةِ ، الَّتِي لَا تَقْدَرُ بِثَمَنِ ..



فَقَالَ ارْنُوبُ : أَنْتَ يَا عَزِيزِي تَعْلُوبًا تَسْتَحِقُّ أَكْثَرَ مِنْ
ذَلِكَ ، بِسَبَبِ مَا سَمِعْتُهُ عَنْ حِكْمَتِكَ ، وَحُكْمِكَ بَيْنَ النَّاسِ
بِالْعَدْلِ ..

فَمَدَّ تَعْلُوبٌ عُنُقَهُ إِلَى الْأَمَامِ ، وَمَالَ عَلَى ارْنُوبٍ قَائِلًا :
- الْآنَ عَرَفْتُ أَنَّ كُلَّ مَا قِيلَ لِي عَنْكَ مِنْ كَلَامِ السُّوءِ لَيْسَ
صَحِيحًا .. رَبُّمَا تَكُونُ قَدْ كِدْتَ لِأَحَدِ الْأَغْبِيَاءِ ، وَلَكِنْ حَسَنًا
فَعَلْتَ ، وَلَيْلَمْ هُوَ نَفْسَهُ ..
فَسَكَتَ ارْنُوبٌ وَلَمْ يَنْطِقْ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ..



وبعد قليل نظر إليه تغلوب قائلاً :

- في أي شيء جئت تقصّديني يا أخي ؟

فقال أرنوب بعد تفكير قصير :

- جئت أطلب منك النصّح ، ولكن لا أعرف من أين أبدأ ..

فشجّعه تغلوب قائلاً :

- تحدّث يا أخي ولا تخجل ، فمهما كانت قضيتك فسوف

أحكم فيها لصالحك .. إن هذا الثوب يدقّ قلبي ، ولن

يجعلني أنطق بغير ذلك ..



فَانْحَنَى ارْتُوبُ أَمَامَهُ قَائِلًا :

- شُكْرًا يَا أَخِي .. شُكْرًا .. طَالَمَا أَنْكَ مُتَعَاظِفٌ مَعِيَ إِلَى
هَذِهِ الدَّرَجَةِ ، فَسَوْفَ أَحْكِي لَكَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ بِأَمَانَةٍ وَصِدْقٍ ..
فَقَالَ تَعْلُوبُ :

- تَفَضَّلْ ، فَأَنَا كُلِّي أَذَانٌ صَاغِيَةٌ لَكَ ..

فَاعْتَدَلَ ارْتُوبُ فِي جِلِسَتِهِ ، وَقَالَ : كَانَ عَبْدِي خَادِمٌ ، وَقَدْ
دَفَعْتُ فِيهِ أَجْرًا كَبِيرًا ، وَتَعَلَّقْتُ بِهِ وَأَحْبَبْتُهُ حُبًّا كَثِيرًا .. كُنْتُ
أَحَافِظُ عَلَيْهِ ، كَمَا تُحَافِظُ الْأُمُّ عَلَى أَطْفَالِهَا ، وَالطَّيُورُ عَلَى
صِبْغَارِهَا ..



فَقَالَ تَعْلُوبٌ مُقَاطِعًا :

- هَذَا وَاضِحٌ مِنْ سَلُوكِكَ النَّبِيلِ مَعِيَ ..

فَقَالَ ارْتُوبُ :

- لَمْ يَكُنْ هُوَ خَادِمِي ، بَلْ أَنَا الَّذِي كُنْتُ خَادِمَهُ .. كُنْتُ

أَعْمَلُ أَنَا ، وَهُوَ يَجْلِسُ مُسْتَرْيَحًا ، وَإِذَا سَقَطَتْ عَلَيْهِ دُرَّةٌ

تُرَابٍ كُنْتُ أَنْفُضُهَا عَنْهُ بِحِرْصٍ شَدِيدٍ ، وَإِذَا مَسَّتْهُ قَطْرَةٌ

مَاءٍ كُنْتُ أُجَفِّفُهَا عَنْهُ بِسُرْعَةٍ ، وَعِنْدَمَا كُنَّا نَخْرُجُ مَعًا كُنْتُ

أَسِيرُ وَأَحْمِلُهُ عَلَى كَتِفِي ..



فَقَالَ تَعْلُوبٌ :

- فَمَاذَا جَرَى إِذَنْ ؟

فَقَالَ أَرْنُوبٌ :

- الْيَوْمَ فَقَطْ فَقَدْتُ خَادِمِي ..

فَسَأَلَهُ تَعْلُوبٌ بِفُضُولٍ :

- وَكَيْفَ حَدَثَ ذَلِكَ ؟

فَرَدَّ أَرْنُوبٌ :

- قَابَلْتُ أَنَا وَهُوَ أَحَدَ اللَّئَامِ ، وَمَا إِنِّ رَأَى خَادِمِي ، حَتَّى

طَمَعَ فِيهِ ..



فَسَأَلَهُ تَعْلُوبُ :

- كَيْفَ ؟

فَقَالَ أَرْنُوبُ :

- رَاحَ يَمْتَدِّحُهُ أَمَامِي ، وَيَذُمُّنِي ، حَتَّى اسْتَمَالَ إِلَيْهِ

الْخَادِمَ ، فَهَرَبَ إِلَيْهِ .. ذَهَبَ خَادِمِي الْجَاوِدُ إِلَى سَيِّدِهِ الْجَدِيدِ

وَتَرَكَنِي ..

فَقَالَ تَعْلُوبُ : هَذَا جُحُودٌ وَتُكْرَانٌ لِلْجَمِيلِ مِنْهُ ..



فَقَالَ ارْتُوبُ : مَاذَا أَفْعَلُ الْآنَ ؟ فَكَّرَ بِمَاذَا تَنْصَحُنِي يَا أَخِي ١٩
فَقَالَ تَعْلُوبُ : وَهَلْ هَذَا أَمْرٌ يَحْتَاجُ إِلَيَّ تَفْكِيرٍ ؟! ابْحَثْ
عَنْ خَادِمِكَ ، حَتَّى تَجِدَهُ ، وَخُذْهُ إِلَى مَنْزِلِكَ ، ثُمَّ ابْدَأْ فِي
جَلْدِهِ فَوْرًا بِالسُّوْطِ ..

فَقَالَ ارْتُوبُ :

- مَهْ! اللَّهُ لَنَا فِي عُمْرِكَ أَيُّهَا الْحَكِيمُ تَعْلُوبُ .. إِنَّ رَأْسَكَ
يُسَاوِي أَكْثَرَ مِنْ وَزْنِهِ مَاسًا .. إِنَّكَ لَمْ تُصْدِرْ فِي حَيَاتِكَ
كُلَّهَا حُكْمًا أَعَدَلَ مِنْ هَذَا.. سَأَسَارِعُ فِي تَنْفِيذِ حُكْمِكَ فَوْرًا ..



فَقَالَ تَعْلُوبُ : هَيَّا اذْهَبْ وَابْحَثْ عَنِ الْجَانِي ..
فَقَالَ ارْتُوبُ : لَا دَاعِيَ لِلْبَحْثِ عَنْهُ فَهُوَ مَوْجُودٌ هُنَا ،
فِي هَذَا الْمَكَانِ ..
فَقَالَ تَعْلُوبُ : مُتَشَكِّكًا : مَاذَا تَقْصِدُ ؟
فَقَالَ ارْتُوبُ : الْخَادِمُ الْمُقْصُودُ هُوَ ثَوْبِي ، الَّذِي
اِغْتَصَبْتَهُ مِنِّي ..
فَقَالَ تَعْلُوبُ : كَيْفَ ؟



فَقَالَ ارْتُوبُ : أَلَمْ أَكُنْ أَنَا الَّذِي حَافَظْتُ عَلَيْهِ وَرَعَيْتُهُ ،
وَنَقَضْتَ عَهْدَ التَّرَابِ ، فَمَا إِنْ قُلْتَ أَنْتَ بِضَعِ كَلِمَاتٍ ، حَتَّى
صَارَ عَلَى كَتِفَيْكَ .. حَسَنٌ .. سَوْفَ يَنَالُ جَزَاءُ خِيَانَتِهِ
وَجُحُودِهِ الْآنَ ..

وَأَخْرَجَ ارْتُوبُ سَوْطًا مِنْ سَاقِ حَدَائِهِ ، ثُمَّ انْهَالَ بِهِ عَلَى
ظَهْرِ تَعْلُوبٍ ، فَاخَذَ يَقْفُزُ فِي كُلِّ مَكَانٍ مُتَالِمًا ، وَالسَّيَاطُ
تَلْسَعُهُ ، فَقَالَ ارْتُوبُ : عَفَوْا يَا أَخِي .. إِنِّي أَنْقَذُ حُكْمَكَ ،
وَأُؤَدِّبُ ثَوْبِي الْعَاقُ ..



وَلَمْ يَتَحَمَّلْ تَغْلُوبَ لَسَعَاتِ السُّوْطِ طَوِيلًا ،
فَنَزَعَ عَنْهُ الثُّوبَ ، وَاعَادَهُ لِرَنْتُوبٍ ، فَحَمَلَ ثَوْبَهُ
مُعَادِرًا الْمَنْزِلَ ، وَتَعَلَّمَ تَغْلُوبُ مِنْ ذَلِكَ أَلَّا يَغْصِبَ
شَيْئًا لَيْسَ مِلْكًا لَهُ بَلْ إِنَّهُ كَفَّ مِنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ عَنِ
التَّظَاهُرِ بِالْحِكْمَةِ ، وَعَنْ قَلْبِ الْحَقِّ إِلَى بَاطِلٍ ،
وَإِدَانَةِ الْبَرِيءِ ، أَوْ تَبْرِئَةِ الظَّالِمِ ..

[تمت]

